

في بداية حديثي أُنقَدَمُ بالشُّكْرِ إلى الأَزْهَرِ الشَّرِيفِ، وإلى مركزِ «نظامي كنجوي» على تنظيم هذه النَّدوةِ المهمَّةِ، كما أشكرُ مجلسَ حُكَمَاءِ المسلمين على تشكيلِ هذا الإطارِ الفكريِّ المُهمِّ.

أنا أريدُ أن أبدأَ حديثي بالإشارةِ إلى المحاورِ الرئيسةِ الثلاثةِ التي وردتْ في كلمةِ سماحةِ الإمامِ الأكبرِ أ.د. أحمد الطَّيِّبِ؛ وهي: أن «المَوْضُوعَ مَكْرُورٌ»، وأنَّ هناك «عقباتٌ للحوارِ»، ثمَّ التَّساؤلُ حولَ ما هو جوهرُ المشكلةِ؟

أمَّا فيما يخصُّ أنَّ الموضوعَ «مَكْرُورٌ»: فهذا صحيحٌ، ونحنُ منذُ السِّتِّيناتِ من القرنِ الماضي في حوارٍ معَ الغربِ ارتفعتْ درجةُ حرارتهِ في السَّبَّعيناتِ بعدَ أزمةِ البترولِ، وتَشكَّلتْ جمعيةٌ لذلكِ الغَرَضِ في باريسَ، وحظيتْ بدعمٍ سخّيٍّ من بعضِ دُولِنَا.

ومنذُ ذلكِ التَّاريخِ، ونحنُ في حوارٍ مستمرٍّ يزدادُ أناً ويتقلصُ أناً، وترتفعُ أسهُمُ الحوارِ كلما أَلَمَّ بنا حادثٌ جَلَلٌ، مثل: نشرِ الكاريكاتوراتِ البَدِئِيَّةِ عن الرِّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدنماركِ عام ٢٠٠٥م.

وأما «عقباتُ الحوارِ»: فهي أنَّ ما نقومُ به ليس حواراً في حقيقةِ الأمرِ؛ إذ إنَّ كُلَّ طرفٍ يكرِّرُ ما لديه من أفكارٍ وحُجَجٍ، ويمضي الخطابان في اتجاهين أحدهما عكسَ الآخرِ دونَ الوصولِ إلى نتيجةٍ هي غايةُ الحوارِ.

وفيما يخصُّ «جوهرَ المشكلةِ»: فهو في رأيي يكمنُ في أننا لا نحدِّدُ هدفاً واضحاً نرْمِي إليه، ممَّا يجعلُ الحوارَ يمضي من أجلِ الحوارِ، والهدفُ الذي أراه واجباً علينا هو هدفُ المصالحةِ التَّاريخِيَّةِ التي تَهْدِفُ إلى إزالةِ العَدَاءِ بين الطرفين، وإنشاءِ أساسِ سليمٍ راسخٍ للمستقبلِ، وهناك مثالٌ مهمٌّ علينا أن ندرسهُ بجديَّةٍ وهو «المصالحةُ التَّاريخِيَّةِ بين اليهودِيَّةِ والمسيحيَّةِ الكاثولوكِيَّةِ».

هناك إنجازاتٌ في مجالِ تعاملِ العالمِ الإسلاميِّ معَ الغربِ، وما يصدرُ من بعضِ منابرِهِ من كراهيَّةٍ للإسلامِ، وازدراءٍ لرموزهِ، وهذه الإنجازاتُ تَمَّتْ على مجالينِ هما: المجالُ الأكاديميُّ، والمجالُ الدبلوماسيُّ، وقراراتُ الشَّرعيَّةِ الدَّوليَّةِ.

في المجالِ الأكاديميِّ: هناك فهمٌ جديدٌ في الأوساطِ العِلْمِيَّةِ الغربيَّةِ عن مساهمةِ الإسلامِ في بناءِ الحضارةِ المعاصرةِ، ويمكنُ الاستمرارُ في هذا المجالِ، وخيرُ مثالٍ لهذا الفهمِ كتابُ:

Cultural Contacts in Building A Universal Civilisation: Islamic Contributions

Edited by E. Ihsanoglu, Istanbul 2005

الذي جاء ثمره جهود متواصلة مع العلماء من أوروبا وأمريكا. وفي المجال الدبلوماسي والسياسة الدولية: هناك منذ 2005م عمل متواصل من منظمة التعاون الإسلامي في الجمعية العمومية للأمم المتحدة (نيويورك)، وكذلك مجلس حقوق الإنسان في «جنيف» التابع للأمم المتحدة، وقد أنشأت الأمانة العامة آنذاك مرصدا للإسلامفوبيا، وقامت بنشاط مكثف في الاتحاد الأوروبي، والمجلس الأوروبي، ومنظمة الأمن والتعاون الأوروبي.

وجدير بالذكر أن جهود المنظمة وتصميمها على إيجاد أرضية مشتركة قد أدت إلى اعتماد قرار مجلس حقوق الإنسان 18/16 بالتوافق من مارس 2011م.

وقد وضع هذا القرار حداً لجدل استمر لعقد من الزمان حول مفهوم «تشويه صورة الأديان»، وفتح الطريق أمام جهود موحدة ومنسقة لتحديد المفهوم القانوني لـ «التحريض على الكراهية الدينية» على نحو أفضل، ويدعو القرار إلى: مكافحة التعصب، والقولبة النمطية السلبية، والوصم، والتمييز، والتحريض على العنف، والعنف تجاه الأشخاص على أساس الدين والمعتقد. وعكس القرار -كأساس للعمل- النقاط الثماني التي وردت في خطابي أمام الدورة الـ 15 لمجلس حقوق الإنسان في سبتمبر 2010م، الذي دعوت فيه إلى اتخاذ إجراءات وجهود ملموسة على الصعيدين الوطني والدولي.

وقد أعقب صدور هذا القرار من مجلس حقوق الإنسان بـ «جنيف» اجتماع سياسي في استانبول في 2011م على مستوى رفيع بين الدول الإسلامية والغربية حضرته السيدة/هيلاري كلنتون-وزيرة الخارجية الأمريكية، والسيدة/كاترين أستون- منسقة السياسة الخارجية للاتحاد الأوروبي مع عدد من الوزراء من الجانبين، وقد تكونت نتيجة هذا الاجتماع آلية خاصة بهذا الموضوع أصبحت تُعرف بـ «مسار استانبول».

وبدأت تصدر عن هذا المسار قرارات وتوصيات بإجراءات محددة لإزالة العوائق وتحسين التفاهم.

علينا إذن أن نبني على ما سبق حتّى نتقدّم إلى الغاية المنشودة، والتي أراها في تحقيق هدفِ المصالحة التّاريخيّة بين الإسلام والمسيحيّة، والذي يجب أن يبدأ بأسلوبٍ هاديٍّ متمكّنٍ مبنيٍّ على فهمٍ واضحٍ للتّاريخ البشريّ، ويتخذُ جدولَ أعمالٍ محدّدَ الخطواتِ، يتقدّمُ إلى هدفِهِ الأسمى، ولا يوجدُ لديّ أيُّ شكٍّ في أنّ الجهةَ الإسلاميّةَ المرشحةَ لتمثيلِ الإسلامِ في هذا الحوارِ هي الأزهرُ الشّريفُ؛ منارةُ العِلْمِ الدّينيِّ لعشرةِ قرونٍ، ولن يكونَ هناكُ أفضلُ من الأزهرِ الشّريفِ في التّفاوضِ معَ الفاتيكانِ في هذا الصّدّدِ (*).